

خنساء الأحساء

جرت العادة في التعريف بالأدباء والأديبات والشعراء والشاعرات بذكر اسماءهم في مقدمة المقال أو الدراسة، لكنني هنا سوف اسبح عكس التيار واترك الاسم الى آخر المقال أو من خلاله وسأترك للقارئ معرفتها من خلال شعرها ونثرها وأدبها، وإن كان شغفك بمعرفة الاسم كثيرا فيمكنك الذهاب الى ذيل المقال ولكن لا يفوتك الاستمتاع بما فيه.

يعرف المتألقون بما يقولون وقد يفتخر بعضهم بذلك فهي هو نبي الشعر ابو الطيب يقول:

أَنَا الَّذِي نَظَرَ الْأَعْمَى إِلَى أَدَبِي * وَأَسْمَعَتْ كَلِمَاتِي مَنْ بِهِ صَمَمٌ
أَنَا مِمَّنْ مَلَأَ جُفُونِي عَن شَوَارِدِهَا * وَيَسْهَرُ الْخَلْقُ جَرَاهَا وَيَخْتَصِمُ
الْخَيْلُ وَاللَّيْلُ وَالْبَيْدَاءُ تُعْرِفُنِي * وَالسَّيْفُ وَالرَّمْحُ وَالْقُرْطَاسُ وَالْقَلَامُ

ما أجمل واحتنا الأحساء فشعراءها كالنخيل رطبها الشعر والتمر، وزهورها الشاعرات شذاها الشعر والعتير.

شاعرتنا هذه فسيفاء جميلة قد أعطاه الله من المواهب والكفاءات المتعددة، فقد تنقلت بين المكتبات كالنحلة تمتص رحيق زهور كتبها وهي لما تزال فتية، وهي بعد ذلك من الأسر المرموقة. تحتار من أي باب تدخل لها " جنات عدن مفتحة لهم الأبواب " فهي شاعرة مرهفة ابحت في قوافي الشعر وفنونه وأغراضه، وهي كاتبة بارعة سواء في المقالة أو النثر أو الخاطرة، نالت شهادة الماجستير في أدب الطفل، لها إصدارات منها " قصص الأطفال في نماذج من الأدب السعودي"، دراسة فنية دلالية. وعطاءها عبر وسائل التواصل الاجتماعي لا يخفى على أحد. إنه عطاء الله الذي لا ينزف " أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا " فكان وادي شاعرتنا مما ناله النصيب الأوفر.

ترصد الأحداث وتقولها في قوالب شعرية أو نثرية أو قصصية، مستخدمة التضاميم القرآنية والمعاني المعنوية لترسل رسائلها الى المجتمع، تستخدم الأسلوب السهل والحكايات مدللة بالشواهد الحية التي عاشها الناس قديما، حافظة بذلك تراث المنطقة.

لا أدعي بأني من الناقدين أو من المحللين ذي الباع الطويل، لكنها محاولات خجولة لدراسة بعض الظواهر الأدبية في منطقتنا، ولقد حاولت قدر الإمكان بشكل مختصر التطرق الى أدب خنساء الأحساء، هذا الاسم الذي احببت أن أطلقه عليها في جميع تعليقاتي لقطعها الأدبية والنثرية التي تنشرها.

شاعرتنا اكتشفت ملكاتها الذاتية منذ نعومة اظفارها، تقول في لقاءها مع الأديب ناصر المشرف التي

نشرت حلقاتها في صحيفة بشائر: " في سرد الذكريات أجدني طفلة تدندن ببعض الأبيات في سطح الدار أثناء اللعب مع المجموعة، وتبتكر ألعابا جماعية على شرف دندنا لها، وتهتم بكتابة العبارات الجميلة في دفاتر الذكريات التي دأبت تلميذات المرحلة المتوسطة على تبادلها، وكذلك التعبير الصادق والمشحون بالعواطف في بطاقات الإهداء". هذه الملكات جعلت لها بصمة وأسلوبا تتفرد به آخذه بقول الشاعر الكبير جاسم الصحيح " كوني أنتِ، ولا تكوني أحدا آخر". وكما قال المثل " وراء كل رجل عظيم امرأة " فإن وراء كل امرأة عظيمة رجل عظيم، فقد يكون الأب أو الزوج أو كلاهما.

إن ذوبان شاعرنا في القصيدة يجعلها تذهل عن الطعام والأولاد، تقول: " إحدى القوائد تملك شعوري واحتدمت بالداخل، لم أستجب لنداء (حان وقت الغداء) لعلمي بأن حالتي الفسيولوجية إن تغيرت فسيشغلني ذلك عن المتابعة، ويسبب التشتت، وضياح الدفقة الشعورية، لذلك آثرت تحمل الجوع، والصيام عن الطعام ريثما تكتمل القصيدة، واستمر المخاض الكتابي حتى صلاة المغرب، حينها أنهيت صيامي، بعد أن استعدت لحظات الجوع التي غلبتها حالة التوجه والتماهي مع الأوزان والمعاني والقوافي.

قصيدة أخرى تملكنتني، كنت أتحرك بجسدي كرجل آلي، وألبي متطلبات الأولاد، لكن الموضوع الشعري كان قد تملك كافة الحواس، خرجت معهم، واتخذت ركنا قصيا لإكمال ممارسة النزف، نزفت ونزفت ونزفت حتى اكتمل النص. فكانت أجمل فرحة بميلاد ابن جديد، فكل نص هو ابن من أبنائي أدوب في حبه إخلاصا حتى أحسن تشكيله".

في باب الحكايات والقصص: تشتم رائحة الماضي وترسم صورة حية ماثلة أمام عينيك متحركة كتبت بأنا مل مقتدرة: " في حديث مبلى برائحة الماضي، مفعم بعبق الذكريات حيث تنبعث من خبايا النفس، من صندوق الأفكار ذكريات بعيدة، آتية من بقايا الماضي، حيث (فرجان الأحساء) مادة أدرعتها الرملية، محتضنة بيوتها الطينية المتراسة، عبر أزقتها الضيقة و ممراتها الملتوية. وفي نبش سجل الذكريات ونفض غبار النسيان عن الذاكرة المتعبة نكهة متميزة وطعم في تذوقه متعة يتيمة.

هنا جدتي (أم حسين محمد الحسين) تعيدنا في حوار شائق إلى رائحة التراث، إلى أريج البيوت الطينية، إلى أضواء الفوانيس التي تغازل هدوء المساء، إلى هدأة الليل النازح. كنا نخيط (الكردية) بأيدينا وهي عبارة عن عود نغطيه بالخرق ونخيطها عليه، ثم نضيف الأيدي و الأرجل. وكنا نلعب بهذه الكرادي. وكذلك نلعب اللقصة بالحصي. أما (الشكّة) فقد كانت لعبة مخصصة للأولاد. وكذلك (المقوورة، والزنبور: الدوامة).

وكان الرجال في فصل الشتاء يخيمون في البر ويصطادون الجراد. يحملونه إلى المنازل (فنفوح) بعضه ونأكله و (ننشر) البعض في السطوح لبيعه أو استخدامه في وقت آخر، وكذلك كانوا يجمعون (الطرائث).

ولا تخفي حينها الى الزمن الماضي، بالرغم من وجود كل مقومات الترفيه في زمننا الحاضر في هذا النص الجميل " الزمن الجميل " والذي لا يخلو من تأريخ وتخليد لألعاب كنا نلعبها وكاد الزمن يمحوها من

ذاكرتنا :

زمن الطيبين

زمن القناعة .

زمن كان كل شيء يُقدم إلينا يفرحنا ويُدخل البهجة إلى قلوبنا البريئة.. نفرح بآيس كريم بو ريال، وبزجاجة بيبسي أم نص. و بكوب شاي بو ريال من البوفيه، وبشاورما أم ثلاثة ريال، ونفرح بكوب كافيه بريالين.. نفرح باللعبة و العروسة والكيرم واللودوستار، و الحية والسلم ونلعب الغميضة، و اللقمة، الشكّة. كل شيء يفرحنا ونحبه.

ولم نشككي يوما من الملل، ونشعر بالامتنان لأهالينا حيال ما يقدموه إلينا، طفل اليوم أصبح ملولا، لا يرضيه شيء، ولا (يترس) عينه شيء، لا يقبل إلا بقهوة باردة من ستاربكس ثمنها في العشرينات، ويريد الوجبات السريعة والبيرجر التي لا تقل تكلفة الواحدة منها عن خمس وعشرين ريال.

وذكرتني " سواف سيفها " ببنت جميل لأحمد شوقي للنخلة واصفا ايها كالعروسة:

وَبَاسِيفَةَ مَن بَنَاتِ الرِّمَالِ * نَمَتِ وَرَبَّتْ فِي ظِلَالِ الكُثُوبِ

وَصِيفَةَ فِرْعَوْنَ فِي سَاحَةِ * مَن القَصْرِ واقِفَةَ تَرْتَقِبِ

قَدِ اعْتَصَبَتْ بِفُصُوصِ العَقِيقِ * مُفَصَّلاً بِشُذُورِ الذَّهَبِ

فهل "خنسأونا" قصدت ذات المعنى وراحت تشبها كغيداء عقصت جدائلها وارتدت قرطبيها، في نصها هذا:

قالت لي النخلة وقد عقصت سعيقاتها جدائل خضراء، و تدلّت ساقها في ماء (الثبر) و ارتدت قرطبيها

رطبا جنيا:

القيظ جمرة!

كل عام يكتوي الناس بـ (آب اللهاب) و (تموز اللي يخلي الماي يغلي في الكوز) فتشد أشعة الشمس أوج همتها .. وتصد شاهقة إلى كبد السماء، و تهطل الرطوبة على الأرض حتى تخالها ضبا با متعاطما. فترشف جباث البساتين بالعرق، وتحرق الشمس وهج الاخضرار ولا عاصم من حرارة الأشعة.. وهنا سعيقاتي تمنحك أيها البشر مراوح تسرّي عنكم بعض حرارة القيظ، ورطبي طعاما باردا ينعش العطشى.

إنها النخلة التي الهمت شاعرتنا كما الهمتنا أن نقف شامخين كما جاء في الأقوال المأثورة " يموت

النخل واقفا " كناية عن الصمود والأنفة.

أما لو أردنا أن نرد هذه الفسيفساء أو الجنة من باب المساجلات الشعرية والتي يطلق عليها بالإخوانيات، فإنه لا يقل جمالا وألقا عن باب القصص والخواطر اذا ما عرفنا بأن على الشاعر الالتزام بنفس القافية والمعنى، سيما اذا جاءت هذه المساجلات وجرت مع عمالقة الشعر في واحتنا الجميلة الأحساء.

فجاءت على صفحات تويتر مساجلة لطيفة دارت رحاها بين طرفين: أحدهما الشاعر المتألق جاسم محمد عساكر، والآخر شاعرتنا " خنساء الأحساء" رباب النمر، ولا يخفى ما ذكر فيها من الأكلات الشعبية كالكبسة

والمموش والمندي والجريش.

قال الشاعر عساكر:

□ على (الريجيم) أعلنتُ انقلابي * فليسَ على المُجوعِ، من عتابِ
ومائدةُ الطعامِ، إذا دَعَا تَنِي * فليسَ سَوَى لهيئتها انتِسابي
يعزُّ عليَّ إذْ يعلو نداءُ * لبطني، أن يظلَّ بلا جوابِ
□ فهل لي أن أرى (المنديَّ) ..تأتي * روائحهُ، وأبقى في صوابي؟
وأن ترنو الكنافةُ لي ابتهاجاً * فأرمقُها بنظراتِ اكتئابِ؟
وألعنَ كعكةً في الصحنِ لكن * يسيلُ على مفاتنها لُعابي؟
و(أمَّ عليَّ) انتظرتُ وصالاً * ولم تُشغلْ بتعديلِ الحجابِ؟
□ وأعظمُ منه، أن أمضي بجوعي * فأدعو من صحبتُ، على حسابي
فيدفع لي من السلطاتِ صحناً * ويفجُرُ، في العرائسِ والكبابِ
ومالي إن دعيتُ، إلى غداءٍ * لذيذٍ، أن أجامل أو أحابي؟
□ فكم فكرتُ في تطيشِ بطني * فكانتُ (كبسةُ) فصلِ الخطابِ
وكم طبقٍ من الحلوى، غنيَّ * خلوتُ به - تراني - أم خلا بي؟!
يطالعي، وأرمقُه فنبكي * مخافةً ما يحلُّ من العقابِ
فإن أقدمتُ، حالفني عذابي * وإن أحجمتُ حالفني عذابي

فجاء رد خنساء الأحساء على الأبيات بأبيات:

ستعلن حربها منك الكروشُ * و تُبنى في ثناياك العروشُ
فحصن بالرجيم بناء نفس * ولا يغريك (ورد) أو مروش
وقل يا رعاك □ زيتاً * إذا يطغى: تكاثرت النعوشُ
وكان رد عساكر:

□ أنا والجوعُ والرغباتُ، ماذا * على طبي، تحاصرُه الوحوشُ؟
أحاولُ أنْ أُمارسَ أكلَ خسٍ * فينتصرُ المموشُ والجريشُ
ومالي رغبةٌ في العيشِ إلا * على ما كانَ ذو كرشٍ يعيشُ
وما تبني النحافةُ أيَّ جاهٍ * فإنَّ الجاهَ، تصنعُه الكروشُ
إذا لاحَ الوجيهُ بغيرِ كرشٍ * فما زانتُ بجلسته العروشُ!!

وردت خنساء الأحساء:

□ إذا انتصر المموشُ و الجريشُ * ستعني فيك للضغط الجيوشُ

وتُقلقُ نبضَكَ (المضبوطَ) فسرا * وتدعو (سُكرا) كيما يجيشُ
فدع عنك الدهون وكن شباباً * طوال الدهرِ (صَحْرِيَّاً) يعيشُ
رد عساكر:

□□ وحقَّكَ يا (ربابُ) وما يجيشُ * بصدري، حينَ أحلامي تطيشُ
لقد أسفرتِ بالآراءِ، حتى * زها وجهُ لها فينا بشوشُ
فحسبي منك أن أسديتِ زُحماً * له في الروحِ - من ذهبٍ - نقوشُ
سأبدأُ رحلةَ التنحيفِ حتى * لِيَغبطَ خفَّتي في الأفقِ ريشُ
وأحمي مَعْدَتِي دوماً * بكفِّي * كما تحمي نواظري، الرُّموشُ
وجاء رد الخنساء:

□□ عهدتك شاعرا عذبَ القوافي * رشيقَ اللفظِ ، مملحهُ بشوشُ
تُرقِّصُ بين زنديكَ المعاني * وسهمُ السحرِ عندك ، لا يطيشُ
و في شُرُفاتِ وردك أيُّ نورٍ * تهاوى عند خافِقِه العروشُ
وليست في العذوبةِ أيُّ نفسٍ * ترهّلُ في حواشيها الكروشُ
□□ فنعنش بالعصيرِ تكن أميرا * ولا يغريك (عيشُ) أو جريشُ

- وعلى صفحات الفيس بوك كانت ثمة مساجلة، طرفاها
الأستاذ عبدا □ الرستم، ورباب النمر. كتبت رباب النمر (صبي رائق).

أجنّني هذا الصّبي * وليس عندي مهربُ
في الليلِ يبكي دائما * وفي الضحى يُخرّبُ
يحوسُ في مطبخنا * أغراضنا (يُكَبِّبُ)
بوقتِ طبخي خلّتهُ * منّي حناناً يطلبُ
يحضنُ ساقِيَّ على الـ * أقدامِ رِجْلُ تضرّبُ
ملعقةُ تجوسُ في * طعامنا والمشربُ
يُلقي بقايا أكله * بمشربي فأغضبُ
لا وجبةً هنيئةً * أو شربةً لي تعذبُ
إن شاهدَ الحاسوبَ في * حجري بدا ينتحبُ
أو يأتني مداهننا * أزراره يُجربُ
أصابعُ صغيرةُ * في شاشتي تَلَاعِبُ
وإن رأني لكنتا * بي في يدي أداعبُ

يُجِلسُ فِي أَحْشَاءِهِ * أَوْ رَاقَعَهُ * يُثَقِّلُ سَبُّهُ
يُخَطِّفُ مِنِّْي قَلِمًا * مُجَنِّحًا فَيُكْتَبُ
هَذَا حَبِيبِي فَلذتِي * أَفَعَالَهُ * مَا أَطْيَبُ
قَدْ مَنَحَ الْبَيْتَ دَلَا * لَّا حِينَمَا يُشَاغِبُ
وَامْتَلَأَ الْقَلْبُ بِحُبِّ * لِعَلِّي * يُطْرِبُ
وَحُبُّهُ * أَجَنِّدُنِي * كَالسَّلْسِيلِ أَعْدَبُ
لَا خَيْرَ فِي مَنَازِلِ * لَيْسَ بِهَا مَشَاغِبُ
وَجَاءَ رَدُّ الرِّسْتَمِ:

قَصِيدَةُ جَمِيلَةٍ * لَيْسَ لَهَا مَعْرَبُ
حَيْثُ أَعَادَتِ نَشْوَتِي * فِي غَفْوَةٍ وَأَطْرِبُ
فَعِنْدَنَا مَا عِنْدَكُمْ * طِفْلٌ يَحِبُّ * يَلْعَبُ
فَإِنَّهُ مَخْرَبُ * لَكِنَّهُ مُحِبُّ
يَلْهُو مَعِي فِي يَقْطَنِي * وَلِلرِّيَالِ يَطْلُبُ
مَزْعَجَةٌ أَحْوَالُهُ * فَيَضْرِبُ وَأَضْرِبُ
يَكْسِرُ كَأَسَاءَ دَائِمًا * بِحِجَّةٍ فَأَغْضِبُ
فَتَارَةً مُهْدَدًا * وَتَارَةً أُطْبِطِبُ
حَتَّى غَدَوْتُ مُتَعَبًا * وَقَلْبِي مَعْدَبُ
أَوْلَادِنَا أَكْبَادِنَا * نَحِبُّهُمْ إِنْ شَاغَبُوا
وَجَاءَ رَدُّهَا:

الشُّكْرُ فِي حَضْرَتِكُمْ * رَسُولِنَا الْمُعْقَرِ سَبُّ
صَبِيُّنَا، صَبِيُّكُمْ * كَلَاهِمَا يُعْزِدُ
يَفْتَنُ * فِي إِزْعَاجِنَا * أَفْكَارُنَا يُشَقِّقُ لِبُ
وَذَا عَلِيٍّ * نَجْلَانَا * مُحْيِرٌ وَمُتَعَرِّبُ
يَشْدُ * شَعْرِي ضَاحِكًا * يَجْرُسُنِي، أَعْصَبُ
وَإِنْ أَرَى التَّلْفَازَ فِي * وَقْتِ فِرَاقِي يَشْغَبُ
يَعْبَثُ فِي أَزْرَارِهِ * يَطْفِئُهُ وَيَهْرَبُ
يُثِيرُهُ الْمَاءُ * فَيَغْفُ * دُوْعَالِمَا يُجْرِبُ
فَتَارَةً * يَسْكُوبُهُ * مَلَابِسًا يُرْطِ سَبُّ
وَتَارَةً ذِرَاعُهُ * تَسْبِحُ فِيهِ قَارِبُ
وَكَلَّمَا أَبْصَرَ كَأَسَا * فِي الْجَوَارِ يَسْكُوبُ

أو شربةً بـ(مَمَّمةٍ) * يـدْفـقها و يحلُّبُ

وردُّ الرستم:

شكراً لكم جيراننا * فإنني مرحّبٌ
فكلنا في خندقٍ * والصبرُ منا واجب
فالطفلُ دوماً يشتهي * والفعلُ منه غالبُ
واللعبُ دوماً شغلُهُ * لأنه ملاءبُ
أذهانهم صغيرةٌ * كأنها العقاربُ
وفرحةُ الأطفالِ في * حياتنا رغائبُ
فهذه حياتهم * دوماً لهم مقالِـبُ
ويلُ لطفلٍ صامتٍ * ويلُ لطفلٍ يلعبُ
فليعبوا وليضربوا * فالصمتُ فيهم سالبُ
وليلةُ الأمسِ غدت * إنني عليهم مَغْضَبُ
حيثُ غدا تـلـفـازُكم * صـوتـا رخيما يُـلـهـبُ
أيقظني من رقدتي * ومذني نوما سلبوا
من غرفةٍ لغرفةٍ * ومـني دوماً يهـرُـبُ
فإنني مسامحٌ * لـفـعـلـهم إن شاغبوا
فهاهمُ أطفالُنا * نحبُّهم إن خاطبوا
والعذرُ دوماً منكم * إن كان لـفـظي مرعبُ
فعندنا ما عنـدكم * والـقـولُ دوماً أعجبُ
فعقّبوا وعقّبوا * فإنني معـقِّـبُ

ولها جولة وصوله في خمرة الملايين الذهبية التي تشرب في استكانة مخصرة زينت وسطها بتيجان حمراء

وتارة زرقاء كعروس تزف الى زوجها ساخنة مخدرة. قال الشاعر سيف بن ينزي الكعبي:

إستكانة شاي جاد بهّا (بريق) * ذوـبـت في قـلـبـها قـلـب القـصـبِ

أحتسيها من عـلـى جـنـب الطريق * في استراحه تـنـفـتـضُ غـبـار التـسـعـبِ

فكانت لها هذه المساجلة في "الشاي" وهي من المشروبات الشعبية العالمية، وخصوصاً في المجتمعات

الخليجية، حتى أصبح جزء لا يتجزأ من ثقافتهم، فتناولتها الناس في صفحاتهم الفنية من مصورين

وشعراء، ومما قيل عنه.. ما كتبه الشاعرة رباب النمر:

أيُّ سحرٍ أنتِ تسحرين؟ * أيها الشايُّ المُخدِّرُ ؟
في زجاجِ عبيقريِّ * وكؤوسِ مثلِ مرمر
ساخناً، عذباً، لذيذاً * تخبُّبُ القلبَ وتأسِر
فيطيشُ اللبُّ لمسا * فوقَ جمرِ تنصدُر
في نخيلِ الروحِ تشدو * بلبلاً، زهراً مُعطَّر
يا جمالاً يوسفيَّساً * والشَّذى منك تَقَطَّر
حولك الآمالُ تصحو * والأحاديثُ تَجمهر
وارتشافُ الشرِّعِ يحلو * وحكاياتُ تُثرثر
فامنحِ العُشَّاقَ دُباباً * سرمدِيَّ الروحِ مُزهر

وتفاعل الشاعر ناجي الحرز فكتب:

كم سقى روحاً فأروى * وجدَّها الغافي فأسكَّر
فتغنَّتْ بنشيدِ * حالمِ الشَّدى دوى مُعطَّر
فحسبنا كل بيوتِ * مُتَرَفِّقِ قِطعةَ سكر

فردت الشاعرة رباب النمر:

أيها الشاعر شكراً * حرفك المعجون عنبر
حَلَّ في الآفاق نورا * وعلى السطَّر تَبَخَّتر
وكفاهُ الشاي فخراً * عاشقُ، عذبُ، مُفكِّر

وكتب الشاعر عادل الحسين معقباً:

إنه سحر مسحر * هكذا الشاي المعطر
في غوار راقصات * وأباريق تخدر
يا لها من فاتنات * حار عقلي وتفكر
لا مثيلاً لشراب * سره فيما تصدر
طعمه شيء رهيب * أذهب العقل وأسكر

وإذا أردنا أن نخرج من باب المساجلات والإخوانيات وولجنا الى باب الأشواق والآهات وتضمن المكونات الطبيعية، واستخدام الرموز وتطويقها في قوالب جميلة فستعيش عالم الأحلام، تقول في:

طغى شوقي إلى (دمّام) قلبِي * فأزّحلّ مُهْجتي و أطارَ لُبيّ
 متى يا كتلةَ الأشواقِ أمضي * لبحرِ نداكِ ؟ كي أُسقيه حُبيّ
 أُغازِلُ فيكِ أشرعةً تسامت * لوجهِ الشمسِ ، لِدُّقِيَا تُلبيّ
 وتشتاقُ الخُطى لترابِ أرضِ * تَدَلَّتْ لحظةَ الميلاذِ قُربي
 تخاتلُني الأمانى كلَّ حينٍ * بوعدٍ كاذبٍ ، فيموجُ دري
 الى أن تقول:

ورائحةٌ * من الأحبابِ مرّت * تعانقُني فتمسحُ أيّ - كَرَبِ
 خذيني يا صُباباتي خُذيني * خيالَ بنفسجٍ لحقولِ حُبي

أما رفيق السمر في البحار والأنهار والبراري والبحار الذي تسمت به النساء والرجال والأماكن والبلدان، هذا المخلوق الجميل العجيب الذي يحبه الناس جميعا ويغيب فيزداد فيه حبا وتغزلا وتشبه به الحور والولدان الذي خلقه الله وجعله نورا وحسانا فقد كان له نصيبا من شاعرنا في ليلة قد اكتمل فيها بدره فاتخذته رفيقا:

رفيقي السماوي يكتمل هذا المساء!

البدرُ ينزفُ كتلةَ الأشواقِ * ويصبُّ عذبَ النورِ بالأحداقِ
 يا بدرُ رفقا بالقلوبِ فإنني * حين اکتمالِكِ تصطلي آفاقي
 ويموجُ في الكونِ بحراً هائجا * فأموجُ حرفاً حطّ في أوراقِ
 السحْرِ أنت تجرّني وبلهفةٍ * وتلفُ حولي هالةَ الإشراقِ
 يا ليلُ لا ترحلِ ففیک تجسّدت * روحي بروحِ جمالِك الرّراقِ
 دعني أدثرُ بالصّبايةِ مهجتي * وبنورِ بدرِكِ.. كُحِّلت أحداقي
 الفجرُ يسلبني رحيقا كلما * غابت بعتمته وجوهُ رفاقي

ما أجمل تضمين الحروف في الشعر حيث تقول: فأموج حرفا حط في أوراقِ.

ومن جمال الترميز لديها في مقطوعة خيط وحرف، ومن عجب هذه الخاطرة على قصرها الا إن فيها رسالة جميلة: إن الأنامل المبدعة في مسك السنارة " الخطافة " وخياطة وحياسة الكروشيه' هي أيضا مبدعة

بمسك القلم لرسم اروع اللوحات الفنية والشعرية. كم جميلة هذه الرمزية للحرف اليدوية التي تشتهر بها منطقتنا مثل خياطة وحياسة البشوت. ما أجمل هذه الرمزية للحفاظ على الحرف اليدوية لأنها من روافدنا الاقتصادية.

حرف وخط

أشتهي خيطاً ناعماً وانسيابياً

يداعب يديّ كما تداعب الأمواج الباردة قدمي طفل..

أو يلاحق أمابعي كما يلاحق الرمل الناعم قدمين راكضتين في كتيب!

أشتهي خيطاً يربّت على يديّ ، ويحك لي حكايات المساء عندما يتحرك في رأس الخطّافة..

أشتهي خيطاً يونسني..

وينزع الحزن والاغتراب عن قلبي..

أشتهي خيطاً يطول، ويطول.. فلا ينقطع، ولا يتشابك! يبتسم في عينيّ ويمطرني بعطر لا يشمه سوى

المخلصين!

أشتهي خيطاً يتجسد أمنية..

أو خطوة تأخذني إلى جزيرة خارقة..

أو قارب نجاة يلتقطني من قاع النسيان..

أو جناح طائرة يتعلق به أمني ليفتح لي بوابة فرج

أما هذه الأنامل التي نكتب بها ونأكل بها ونبتش بها ونمسح بها على رؤوس الأبناء والمساكين، ونسبح بها، وقال فيها امامنا زين العابدين" ولكن توفّر لها: بقديّ منها عن كثير ممّا يحلّ لها، وبسطها إلى كثير ممّا ليس عليها، فإذا هيّ قد عُقِلاتٍ وشُررٍ فَتٍ في العاجل وَجَبَ لها حُسْنُ الثواب من [] في الآجل". هذه الأنامل جعلتها شاعرنا ليست فقط حساسة بل مبصرة ترى كما نرى، وتشكر الباري عليها إذ كانت سبيلا لنجاحها:

أنامل مبصرة:

الشمسُ تشرقُ في فؤاديّ كلما نحت الصباحُ وجودَه في ذاتي

ويضجُ في عقلي الضياءُ فأرتوي بالنورِ حين تلفُنني آهاتي

لا النورُ أبصرُه بعينيّ التي قد غاب عنها اللونُ في بسماتي

إن كانت العينان سحراً غافياً

لا يبصرُ الأشياءَ والآياتِ

والكونُ من حولي طلامُ داسُ يلقى طلال الرعبِ في عثراتي
لا اللونُ أعرفُ كنهَه في وهلةٍ
أو أعرفُ الأشكالَ في نظراتي
الى أن تقول:

وأناملي عزفُ ينيرُ بصيرتي
إذ فيهما وهجُ يعززُ ذاتي
حلاقتُ بالكفَّين فهي حمائم
تصغي لصوتِ القلبِ والخفقاتِ
تندسُ في كتيبي فأقرأ خافياً
عن ناظري فتزدهي كلماتي

عشرُ حباني ا□ بين أصابعي تلتذُّ بالإبصارِ في عتماتي
وبها صنعتُ عجائباً في عالمي بالمعجزاتِ تكلمت خطواتي
يا ألفَ شكرٍ في فؤادي نبضها صجّت بها الأفكارُ في خلواتي

ومن الترميز تصور لنا شاعرتنا كلمة " النص " في مقالها النص المدفون في الذات كأنه كائن مختال حي
يريد سرقة هدوءها وراحتها:

أيها النص المراوغ دعني

دع لي الليل ليميل الرأس على وسادة ناعمة من الأحلام

وليسافر إرهابي المُنعب على ظهر غيمة

دع العطر يتنفس في غرفتي

نص مختال . . نص مجرم

يسرق الليل ولا يجيء

بابنا التالي لا يخلو طرافة وامتاعاً في رسم الصور وتسخير الشعر للتراث وسرد التاريخ للأجيال

التالية وما هذا الأوبريت التي عارضت به نص

جبران خليل جبران (أعطني الناي)، وأوبريت (قصتي ونجاحي) الذي لحنه مسلم المسلم، وأداه شباب العائلة

الا نموذجاً من القصائد التي لا ينصب معينها، و لا ينزف بحرهما:

المقطع الأول: من

من أين أبدأ قصتي؟ ونجاحي * صرحُ بناه تفوقني وكفاحي
مذ كنتُ تلميذاً يوضيء فجره * بالجدر كي يحطى بنيل فلاحـ
ويلوّن الآفاق - مجداً كلما * نهض الصباحُ بوجهه الوضاحـ
يتلو على خير المآذن شمسهُ * فيلوح إشراق الندى اللماحـ
فيجدد العزم الأكيد ليبتني * مستقبلاً يرعاه كُـلُّ صباحـ

ومن المقطع الثاني:

وعلى بساط الريح روجي سافرت * عبر الزمان إلى رؤى الأجداد
تستنطق التاريخ عبر رموزه * وتفتشُ الماضي من الأمجاد
فأطل (شيخ العلم) كهلاً عاقلاً * وعليه سيماءُ الوقارِ يُنادي
يتوكأ (التقوى)، ويتلو ورده * يروي حكاياتُ من الآمادِ

ومن باب استغلال المناسبات، هذه الأبيات بمناسبة قرقيعان 1441هـ في أبيات فلكلورية:

قرقيعان قرقيعان

لا لا تدقوا البيان

رفعوا إيديكم □

وطلبوا الفرج والغفران

*

لوما الحسن ما جينا

ما تمنعنا كورونا

وسط القلب محفلنا

والزكي يشفع لنا

جينا جينا يا إمام

من تويترو وأنستقرام

من واتساب وتلجرام

نحيي هالفرحة وكل عام

ومن المعلوم أن الشاعر دائماً يدخل السرور على الناس مهما كانت المناسبة لأنه يواسيهم، إلا أن يكون
ذمًا وهجاء وهذا بعيد كل البعد عن شعراءنا وشاعراتنا، وفي مقال لها بعنوان ابداع النكتة في زمن

كورونا ترصد لنا شاعرتنا مجموعة من النكات حيث تقول" النكتة لون من ألوان الأدب الشعبي القائم على اللغة الدارجة، الذي يقدم الإضحك في حياتنا اليومية، وإثارة السخرية من وضع حياتي، أو اجتماعي، أو اقتصادي، أو أسري" نختار منها:

:مثل ، الواتساب مجموعات من كثير في تداوله تم ما ومنها

جلسة البيت ذكرتني بهذا النشيد

أنا أحب بيتنا لأن فيه جدنا

وفيه أمي وأبي وفيه أختي وأنا

وحوله حديقة أشجارها تظلمنا

وجارنا نعزه كأنه أخ لنا

يا بيتنا يا بيتنا فيك السعادة والهنا

أتحدوا الك ما تلحنها

وجميلة هي النكتة التي تقول:

.. (تم إلغاء حكمتين هذي السنه 2020 وهما

اطلبوا العلم ولو بالصين و كل الطرق تؤدي الى روما)

والبقاء على حكمه واحدة هي "من خرج من داره قل مقداره!

من سمات الشعراء رصد الأحداث والمناسبات وتحويلها الى صور رائعة بلوحات شعرية أو نثرية ويعد هذا أداة من أدوات حفظ التاريخ وقديما قالوا الشعر ديوان العرب، أما الآن فهو ديوان العالم، ولم تكن شاعرتنا خنساء الأحساء بدعا من الشعراء بل لها باع جيد في هذا المجال وهذه نماذج من الرصد ستأتي في هذا الباب والباب الذي يليه:

بمناسبة فوز المبدع جاسم الصحيح بجائزة السنوسي:

كلُّ الجوائزِ في رحابِك تُسكّرُ * أنتَ النبيذُ لنشوها والجوهرُ

دانته لهيبتك الصفوفُ وكلّما * بصروا نجومك في الوجودِ تجمهروا

وعلت هُتافاتُ التحايا ريثما * يختالُ (وزنك) للسباقِ ويأسرُ

أنتَ الجوائزُ ، رودُها يا جاسمُ * إن رُمتَ سبِقاً ، نزلتَها وتأخروا

وكان لها رصد جيد لجائحة كورونا سواء عبر الكلمة أو القصيدة وقد ذكرنا بعضها في الباب السابق
لمناسبة الموضوع، ونذكر بعض منها هنا للمناسبة:

دعوتُ ا□ يحمينا * من المدعو (كورونا)
ويُنجي الناس من ألمٍ * تقلب بين أيدينا
سعى في الأرض إفساداً * و أحبط من مساعينا
و أغلق اي□ أبوابٍ * تبتث حياتها فينا
أمات (الدرس) مبتهجا * وقهقهه من (تلاقينا)
وأوقف كل (مجتمع) * و بات (الهم) يسقينا
مشى في الكون طاووسا * وبالغ في تحدينا

حسي ا□ عليها من كورونا

وتأوه شاعرنا وتشكو بثها الى ا□ مما فعله كورونا من تغيير الأحوال، هذا وقد حصد الأجرة، وهي هنا
تحكي حال الناس جميعا:

عيد التباعد

سكّبتُ على مدى الأيّام صبري * وأوكدتُ الرّحيم عسيرَ أمري
فلا الكمامة ينجي من وباءٍ * ولا القفّاز يحرّسُ باب عمري
ولا غسلاً، يزيحُ الخوفَ عنّي * ولا التعقيم يُبرئُ شخّ كسري
ركبتُ سفينة الصّفاء لمّا * طغى موجُ الوباء يثيرُ دُعري
وطوفانُ من الأرقام أرسى * على شاطئ الأذى قلائقاً لفرّكري
أراقبُها في صعدٍ في كيانٍ * وجومٌ كُلاّما تزدادُ إثري
وقافلةٌ من الفيروس هبّت * تقاتلُ في المدى كجوش كُفر
الى أن قالت:

إذا الأحيابُ لا حُوا في فضاءٍ * يُجمّعنا ويانوا مثل بدر
تلاحقُ (طيفهم) روجي اشتعالاً * ويلتهبُ الحنينُ بعمقِ صدري
ويضطّرمُ احتضانُ في فؤادي * وتقبيلُ يغيبُ بشوقٍ نغري
تصافحنا (افتراضي)، ولكن * على بعدٍ نزورُ، بطيبِ ذكر
سيتلو العيدُ شوقاً بعد شوقٍ * بلا قُربٍ، ولا صلالةٍ وبرر

وفي مقال لها: ترى هل سنهزمه تتساءل شاعرتنا وهي تصف هذا الوحش الهلامي الأخضر الذي لا يرى وكأنه ذلك الرجل الأخضر الصخم الجثة الذي يأتي في الأفلام اذا انفتل من عقاله دمر كل شيء أمامه: هربت إلى سريرى خوفاً، وخبّأت رأسي تحت الوسادة، وغطيته باللحاف هرباً من ذلك الوحش الذي يلاحقني في كل مكان أذهب إليه، ولم أسلم.

أغمضت عينيّ علّنيّ أشعر ببعض أمان فتمثّل لي بصورة كرة خضراء عملاقة مخيفة يمتلئ جسدها بالمجسّات البارزة تتدحرج على سفوح خيالي، وتخرج من دنيا أحلامي إلى الخارج. كانت تتدحرج في سرعة مخيفة، وفي صورة هُلاميّة خفيّة. كانت تتنقل في رشاقة بين البشر وهم لا يرونها.

ونعود مرة أخرى للشعر في زمن كورونا حيث تصور لنا الشاعرة الخنساء كيف تغيرت أحوال الناس فأصبحت الرجال كمثّل ربات الحجال:

كل شيء قد تسكّر * وعن الناس تأخّر
مسجدٌ، سوقٌ، وحتى * شاطيء البحر تعثّر
ورجالٌ في بيوتٍ * مثلما المرأة تُحجر
وارتدوا أي لئامٍ * مثل حواء تسنّ
وعن (الأعمال) غابوا * كمريضٍ قد تجمّر

بوابتا الأخيرة هي بوابة الرثاء: ولا يختلف معي اثنان بأن مصيبة الحسين عليه السلام بالطف قد اثارت ولا تزال اشجان الشعراء فراحوا يسطرون أحلى القصائد والقطع الشعرية التي تبكي العيون وأصبحت مضرباً للأمثال يرددونها الكبار والصغار والرجال والنساء سواء على الأعواد أو في المجالس العامة والخاصة وقد اثرت هذه الحادثة التي لا تزال طرية وحية في وجدان الشعراء حتى في قصائد رثائهم للأحبة والأهل والإخوان:

شاعرتنا المبدعة واحدة من تلكم التي أخذت قصائدها تتردد على المنبر الحسيني، وما أجمل أن يرى الإنسان نتاج عمله شجرة مثمرة تؤتي أكلها كل حين، والأجمل من ذلك أن يتبارى الخطباء بقراءة نتاجنا المحلي. إن شعراءنا لا يقلون شأنًا عن غيرهم في تصوير المصيبة بكلمات شجية وحزينة.

(شجن مموسق)

عبأتُ من عطشِ الحسينِ دواتي * وترقرقت من نحره كلماتي
لما ارتقت سُعْبُ الوحوشِ بنعلها * أمّ الكتابِ ومحكم الآياتِ
وسكبتُ مصرعَه الحزينَ بمقلتي * دمعا يُورقني لحين مماتي

فامتد عامٌ ألفٌ عامٍ من شجى * يبدي العويلَ ويثمرُ الحسراتِ
يتلو على ثغرِ الزمانِ مواجعاً * خُطَّتْ على الأشلاءِ بالويلاتِ
خطَّ الحسِينُ مدادَه في كربلاءَ * دماً ينيرُ الكونَ بالبركاتِ
وبنى بأشلاءِ الضحايا قبةَ الإِ * صلاحِ جيلا بعد جيلٍ آتي
وتلوح (لا أشرا ولا بطرا) إذا * ذُكِرَ الحسِينُ تحفُّسهُ صلواتي
أحيا بثورته العقول فكم له * من عبرة في أنفة العبرات

هكذا ثرتي شاعرتنا سيد الشعائر السيد محمد علي العلي سلمان:

هكذا هم الرواد حينما يودعوننا نقف منكسري الأفئدة ، مطأطي الرؤوس!
فسلام عليك زعيم الحوزة العملية
سلام عليك يا محيي الشعائر..
سلام عليك مذ النِّفَسِ الأخير حتى جنان الخلد عند مليك مُقتدر..

سيد الشعائر

جرت المآقي في مصابرك أنهُرا * وتدفقت سيلاً عتيداً ممطرا
لمّا نعاكَ الموتُ طوداً شامخاً * فهويت للعلياء بدرأً مُقمرا
فاهتزت الأحساءُ تلطمُ صدرها * آها لفقدك بالنحيبِ تفجّرا
تفديك كلُّ نخيلٍ لها يا سيِّداً * ملأ البطاحَ عطاؤه فتعطّرا
يا سيِّداً أحيا الشعائرَ فالمدى * يرثي الشعائرَ، والعزاء مُكبّرا

ما أجملها من أبيات وذكرني بيتها الأخير بيت شعر من قصيدة للعلامة الشيخ باقر بوخمسین في رثاء
السيد محمد العالم سلمان قاضي الأحساء من قصيدة عنوانها دمعة على استاذ:

طافوا بنعشك يهتفون فكبروا * هل أنت فاتحة الكتاب وأحرموا

وتقول في الفارس الذي ترحل وآلم الأحساء قاطبة الذي دخل بيوتنا جميعا بصوته الشجي ومقاطعته المرئية
من خلال رسائله وحكمه القصيرة التي أخذت بمجامع القلوب في وسائل التواصل الاجتماعي، كم هي جميلة
ومؤثرة قصيدة "ذبول في عيد أم"

يُسمح عن جبينه تعباً ثم يرحل و قد كانت تنتظره اليوم..

إن يفرد إليها حاملاً باقة ورد وهدية.. فإذا بالهدية تتحول إلى فاجعة
كلمات بلون قلب الأم وكل الأحساء أمه .. وعياله، للفارس الراحل (الشيخ عيسى الحبارة) يوم تشييعه
..

" ذبول في عيد أم "

أَفُجِعَتَ (أُمِّكَ) بالبكاءِ طويلاً * و أَفَلَّاتَ يا بدر التمام أُوْفُولا
في عيدها قدمت أيَّ هديَّة ؟ * وردٌ ؟ و دمعٌ ؟ والغيابُ رحيلًا ؟
أمُّ على رَفِّ انظارِكَ أمَّسَلَّاتَ * منك ابتساما و اللقاءَ جَذِيبًا
وسَقَّتْ ووردَ الأمنياتِ رحيقُها * كيما تكحلُّ عينُها تكحيلًا
ببهاءِكَ المنشودِ ، أَيَّسَّةَ قُوبَلَةٍ * رامت تُقبِلُ رأسَها تقبيلًا ؟
دَعَّها توسدُ خَدَّها حرَّ الثُّرى * فلقد مضى من جوفِها (قِنْدِيبًا)
رجلُ يضاها الأنبياءَ جلالُهُ * ويفيضُ من ثغرِ العذوبةِ قِيبًا

الى أن قالت:

وإذا أطلَّ على الوجودِ دماثةً * ملكَ القلوبِ ودقَّها إزميلا
كتبتك أغمانُ الحسينِ بدوحِها * روضاً تفجَّرَ حكمةً و نَخِيلاً
أخيتَ بينَ المؤمنينِ محبَّةً * وصنعتَ كوناً هادفاً ، و نبيلًا

ولها في الشابة غفران التي اغتالها كورونا ثاني عيد الفطر شوال 1441هـ، هذه الأبيات المؤثرة:

أيُّها النسرينُ ماذا أَعْجَلَكِ؟ * عندما الموتُ رحيلًا جَلَّلكِ؟
هل تركت العيد مذبحاً على * صدر أياامي، إذا ما دلَّسَلَكِ؟
أيُّ عيدٍ يا فؤادي أذِيبَلَكِ؟ * ومصابٍ بالرزايا زَمَّسَلَكِ؟
هل دخونُ العيدِ رامت ثوبَها؟ * أو لأكفانِ المننايَا أوصلَكِ؟

الى أن قالت:

فابتدت غفرانُ عمراً آخراً * من ندى القرآنِ نوراً بلَّسَلَكِ
من خشوعِ الفجرِ صاغت سُلماً * لرضا □□، فجَافَها الحَلَكِ

وأراجيحَ ابتهاجٍ خـلـتُها * بين أغصانِ الثُّريا والفـلـك

وختماً تجود بهذه الأبيات في رضيع فجر عاطفة الأمومة:

يا صغيري وبكاءٍ * لامَسَ الإحساسَ * منِّي.. ونداءٍ * قد رَوَّانِي
وَسَقَّانِي نشوةَ الأُمِّ * غَـرَّـمَـا * جوعُكَ الغافي على مَرِّ
الثَّـوَانِي
يا رضيعاً بَثَّـا في دُنْيَايَ سَـحْـرَـا * وعبيراً مخملياً
فاحـتَوَّانِي
ثغرُكَ البسامُ يَـا نَـفْـحَـة روجي * كُـلِّـمَـا نَـاغَـيَـتَ يحلـو
لافتنانِي
وابتسامُ يَمَلِّأُ البیتُ سَـرَّـوَرِـا * كُـلِّـمَـا فهِقَتِ نَـا يَـا
أقـحـوانِي
اختصرتَ الكونَ في عينِكَ لَمَّـا * راقني التجوال في رمشيك هـانِي

تقول شاعرتنا: كثير من الكلمات ألقيت على المنصات، وعلى المنابر في محافل رسمية واجتماعية، وكثير منها نشرت في صفحات ورقية، وإلكترونية، وكثير منها لم تُنشر وبقيت بيني وبين الرفيقات وأصحاب الشأن، وسيضمها بمشيئة الله (شهقة الفردوس) بعد انتهاء أزمة كورونا في نهاية هذه القراءة المتواضعة لاشك عزيزي القارئ أنك عرفتها إنها الشاعرة الأديبة الأستاذة رباب حسين النمر "خنساء الأحساء".

هذه قراءة لبعض ما نشر فكيف لو كان بين أيدينا ما لم ينشر؟ لا شك أن هناك جوانب كثيرة لم تنطرق لها هذه الدراسة المتواضعة، وهنا ندعو لمن لديه ملكة الكتابة والتحليل بتناولها، وكذلك مسيرة كل الأدباء والأديبات التي لم تأخذ حقها من القراءة.

[للتحميل اضغط هنا](#)